



مظاهر السياسة، سياسات المظهر

ا من ناحية الشكل، يتصرف احياناً "تلفزيون المستقبل" وكأنه ملك الرئيس سليم الحص وليس الرئيس رفيق الحريري. فهو، على ما يبدو، يتبع فلسفة رئيس الحكومة السابق الذي قال بعد هزيمته في الانتخابات النيابية الاخيرة انه سيعتزل السياسة ولن يتدخل الا في "القضايا الوطنية". طبعاً، لا يذهب "تلفزيون المستقبل" الى حد الترفع كلياً عن السياسة اليومية. غداً، مثلاً، سيستقبل رئيس الحكومة في حلقة حوارية مع صحافيين وخبير اقتصادي، والاصح القول ان صاحب المحطة سيستضيف خبيراً وصحافيين لعرض سياسته. لكن عدا ذلك، فان البرامج السياسية المنتظمة، وخصوصاً الحوارية منها، غابت عن شاشة "المستقبل" منذ توقيف برنامج ماغي فرح، ولم يشعر المشاهد بان لدى ادارته رغبة حقيقية في ايجاد بديل منه.

وإذا كان "المستقبل" قد نجح في عدد من حلقات "سيرة وانفتحت" في فتح ملفات تهم المجتمع اللبناني وأطلق العنان لصحافية ممتازة هي ديانا مقلد لتختبر نمطاً من الريبورتاجات الطويلة العربية والدولية تفتقر اليها المحطات اللبنانية الاخرى، فان احجابه عن المشاركة في النقاش السياسي خارج نشرات الاخبار يبقى موضع تساؤل، خصوصاً اذا تذكرنا الخلفية السياسية التي يقوم عليها.

قطعاً، يحق لاي وسيلة اعلامية في النهاية ان تضيق الحيز المخصص للسياسة، وحتى ان تلغيها من الوجود ان شاءت. ثم انه قد يكون لهذا القرار ما يفسره في حال "المستقبل" كالرغبة في عدم زيادة الهموم الكثيرة لصاحب المحطة الجالس بين شركاء سياسيين يتربصون له في كل ما يفعل او لا يفعل، فيصبح شعار العاملين لديه طلب السترة له ولهم، سواء كان ذلك سلباً من خلال الامتناع عن اي كلام، او ايجاباً من خلال الاحتفاء ب"اسد سوريا في لبنان"، مثلما جاء في الكليب المهيب على عجل والمكرر حتى الملل طوال يوم امس. يمكن تفسير غياب النقاش السياسي العربي بسبب مماثل، بالاضافة ربما الى ما قد تمليه المرحلة الانتقالية التي يمر فيها "المستقبل" في انتظار ان يرسو اتفاق التحالف مع "ام.بي.سي." على صيغة واضحة.

المشكلة اذاً ليست في تغيب السياسة، وان يكن غيابها يبعث على شيء من السخرية. بل المشكلة هي ان تعتقد محطة قررت ان السياسة لا تستحق العناء انها قادرة على الاستعاضة عنها باطلاق حملات "وطنية". وقد شاهدنا منها نموذجين حتى الآن: الحملة من اجل ملاحقة اربيل شارون قضائياً، وحملة التضامن مع عزمي بشارة. سياسة من دون مخاطرة، ولم لا؟ لكنها قد تكون ايضاً من دون وعي. ولعل المؤسف ان تتعرض قضية مثل قضية عزمي بشارة لمثل هذا الاستعمال، في اليوم الذي خصص للتضامن معه. لا ينطبق هذا الكلام بالتأكيد على ما شكل متن السهرة التلفزيونية على "المستقبل" الثلاثاء الماضي، اي فيلم "المواطن بشارة" للمخرجة الاسرائيلية سيمون بيتون والمقابلة التي اجرتها ديانا مقلد في فندق هيلتون النيل بالقاهرة مع النائب العربي في الكنيست. المادة في كلا البرنامجين كانت دسمة، وربما فوق اللزوم اذ ان المقابلة كررت بعض ما جاء في الفيلم ولم تأت بجديد مقارنة مع اطلاعات بشارة الاخرى على تلفزيونات لبنانية وعربية اخرى.

لكن الجهد المميز الذي بذله "المستقبل" في السهرة خربه الاطار العام لهذا اليوم التلفزيوني الطويل، وتحديداً ما جرى في الصباح ثم بعد المقابلة في آخر الليل. من الحب ما قتل. برنامج "عالم الصباح"



الذي نعرفه خالياً من السياسة صار فجأة معنياً بكامله بالقضية الفلسطينية. حتى ان الكوفيات غطت الجدران والطاوله فاستحالت ديكوراً جديداً، وراح المقدمون والمقدمات الذين يتناوبون كل يوم على تسليية المشاهد بطرح شتى المواضيع الخفيفة من الازياء الى التغذية الى النشاطات الاجتماعية يتبارون في محاوره ضيوف سياسيين لم نعد نرى من امثالهم على "المستقبل" منذ زمن. تتريدون التضامن مع عزمي بشاره منذ الصباح الباكر؟ عظيم، استدعوا الصحفيين والصحافيات العاملين في المحطة، جئدهم ان سنتم. الا اذا كان عزمي بشاره مجرد موضة. لكن الادهي كان مساءً عندما عرض فيلم "الارض" ليوسف شاهين.

يا ليتنا نشاهد كل ليلة فيلماً من هذا المستوى. لكن ما العلاقة بين نضال الفلاح المصري من اجل رزقه وارضه، والتضامن مع عزمي بشاره؟ ام ان المبرمج يعتبر ان كله نضال بنضال، كما يقولون احياناً في الصالونات حين يستضيفون مثقفاً تأكيداً على الرقي الاجتماعي. ويبقى يوم التضامن مع عزمي بشاره اخف ظلاً وتخريباً من الحملة ضد شارون. هنا تتبين تبعات سياسة الحد الأدنى. بالتأكيد، ان عمل الذاكرة ضرورة كبيرة في بلد خرج من الحرب من دون ان يسائل نفسه. لكن تحويل هذه الحقبة من التاريخ الى موضوع اجترار اسبوعي (مساء كل اربعاء)، ناهيك بالكليات، يؤدي الى عكس الهدف المرجو. والانكى ان الاكتفاء من الذاكرة بمجزرة صبرا وشاتيلا يؤدي، لبنانياً، الى تشكيك قطاع واسع من المجتمع بجدوى هذا العمل.

لم ينتبه "المستقبل" الى ان محاكمة شارون تفتح الباب امام محاكمة معنوية لبعض اللبنانيين، وهذا واجب تأخر تحقيقه، الا انه سيتأخر اكثر اذا تعامل الاعلام مع مجزرة صبرا وشاتيلا، على خصوصيتها، وكأنها تلغي كل ما حصل خلال الحرب. فعمل الذاكرة عمل جماعي وكل يفترض ان يطول كل اطراف الحرب، بل ان تشترك فيه كل فئات المجتمع بالنقد الذاتي. ولكن ما السبيل اليه ان كان التلفزيون اعتزل السياسة، ولم يعد يهتم الا بالقضايا الوطنية؟

|| في الصحف قبل ايام، تغطية لندوة في جامعة اللوزية جرى فيها الكلام عن ضرورة اقرار ميثاق اخلاقي يلتزمه الصحافيون. الكلام في محله، ولكنه ليس في الموضوع المناسب: فليس من الحكمة سياسياً ان يتم التداول بمثل هذه الافكار في حضور وزير الاعلام، ولو كان صحافياً سابقاً. فماذا لو تم ادراج مثل هذا المشروع على جدول اعمال الوزارة وجاء مكان الزميل غازي العريضي سياسي آخر اقل الماماً بظروف العمل الصحافي، حتى لا نتكلم عن احتمالات اخرى اكثر شؤماً؟ كذلك ليس من الحكمة اخلاقياً ان يطرح مشروع يتصل بالممارسة المهنية في حضور من تسلط على الهيئات التمثيلية.

فكيف لميثاق ان يلزم الصحافيين حين نعرف ان الهيئة التي يفترض بها ان تجمعهم لا تقبلهم الا بالقطارة فيما تعج بمن لم يعد لهم علاقة بالمهنة، من دون ان ننسى من لم يكن لهم يوماً علاقة بها؟ اكثر من ذلك، يمكن القول ان مشروع التنظيم الاخلاقي للعمل الصحافي قد يتقاطع مع مآرب اخرى لا تمت بصلة الى الاخلاق ولا الى الصحافة إن سبق تنظيمها آخر اكثر الحاحاً هو التنظيم المهني. على العكس، يمكن المراهنة على ان الحاجة الى ميثاق اخلاقي خاص ستنتفي في حال توفيق الصحافيين ذات يوم في تصحيح اوضاعهم النقابية. هذا لا ينفي ان الحاجة ملحة الى طرق موضوع الاخلاقيات الصحافية، ولعل اكبر دليل على هذه الحاجة ما شهده القطاع الاعلامي في هذه الايام من تجيش. واذا كانت حدة الحرب الاعلامية قد استوفقت، صدقاً او زوراً، بعض المعنيين بالشأن العام، الا انه غاب عن الجميع ان اول الضحايا في هذه الحرب هم الصحافيون انفسهم، ذلك ان التجيش ينال قبل اي شي من حرية الصحافي. المشكلة عامة وقد يكون من الظلم تحميل الاعلام المرئي وحده مسؤولية هذا الانزلاق. غير ان خصوصية العمل التلفزيوني تضخم الحرب التي قد تقوم بين محطتين بما لا يقارن مع ما يمكن ان يحصل بين جريدتين، وتزيد بالتالي مع اتساع هذه الحرب



الاطار التي تهدد استقلالية الجسم الصحافي العامل في كل محطة معنية بهذه المواجهة. الفرق الاساسي بين الصحافة المكتوبة والاعلام المرئي هو ان الجريدة تتضمن مقالات موقعة، اي انها تترك مجالاً لمقدار من الشخصية يخفف بالضرورة من الصورة الاحادية التي يفرضها التحجيش. وحتى اذا تميّز كاتب من الكتاب بنبرة اقوى من غيره، فان هذه النبرة هي تحديداً ما يؤدي الى التخفيف من حدة المقالات الاخرى. اما في التلفزيون، فلا مكان للشخصنة الا في البرامج، وهي اقل جماهيرية (خصوصاً اذا نفيت بعد منتصف الليل). لذلك نرى ان برنامجين سياسيين على محطة واحدة قد يختلفان في التوجه، او في اقل تقدير في التنوعات على الخط السياسي المفروض، فيما تبدو نشرة الاخبار المسائية وكأنها تنطق بغير لسان من يذيعها. ولا شك ان مظهر التحجيش تفاقمه القاعدة المعمول بها في لبنان والتي تجعل من مقدمي الاخبار مجرد قراء لنصوص كتبها شخص آخر، وفي معزل عما اذا كان "المشرف السياسي" داخل المحطة او رئيس تحرير غير منظور من خارج المحطة وخارج المهنة. بل يمكن القول ان تغييب شخصية الصحافي الذي يقدم نشرة الاخبار هو ما يسمح بمختلف الاملاءات. ليس لأن الصحافي لا يخضع للاملاءات اذا كان يوقع مقالاته، لكن المكتوب في هذه الحال يقرأ من عنوانه، كما تقول لنا الخبرة.

ولا ريب ان مضمون الحرب التي دارت حول مشروع الغاء الوكالات الحصرية يساهم في اظهار مدى التعدي على حرية الصحفيين. فبخلاف سجلات اخرى سياسية او طائفية، هنا المعركة بين ذئاب ولا دخل للصحافيين فيها الا اذا استطاعوا تحديد المصالح وتظهير الاهداف الخفية عند هذا الطرف او ذاك. صحيح ان لاصحاب المؤسسة الحق في ان يحددوا خطأ عاماً للسياسة الاخبارية. بيد ان هذا الحق يتوقف عند حدود اخلاقية، عنوانها حرية الصحافي في ان يستعمل الكلمات التي يشاء ما دام هو الذي يوقعها او يتلوها. لكن ما السبيل الى هذه الحرية من دون هيئات مهنية تفرض ميثاقاً اخلاقياً يلزم اصحاب المؤسسات بقدر ما يلزم الصحفيين؟

سمير قصير



Id-Reference	02-Pr-000745	
Media	(Support)	HC
Title		مظاهر السياسة، سياسات المظهر
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٢/٣/٤ 4/3/2002
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	سليم حص - رفيق حريري - ماغي فرح - اريل شارون - عزمي بشارة - يوسف شاهين
	Locations	لبنان - سوريا - اسرائيل
	Dates	
	Themes	لبنان - انتخابات نيابية لبنانية - سليم حص - رفيق حريري - تلفزيون مستقبل - توقيف برنامج ماغي فرح - تلفزيون أم بي سي - فيلم مواطن بشارة - برنامج عالم صباح
Subject		